

الوافي في الوفيات

فما سمعوا نداء الرُّقبا ولا منعوا حمى الوَقى ولا قابلوا سهام القسيِّ بوكورٍ من
نحورهم ولا عاملوا ثعالب صدور الرماح بوجارٍ من صدورهم بل اتخذوا الليلَ لِسُراهم حملاً
وعملوا الفرارَ لنفوسهم على رؤوسهم جَبَلاً وسلكوا من وُجور الفجاج بفرارهم قبل مخالطة
العجاج سُبُلاً فتحكمت يدُ القتل والأسر في إبطال أطلابهم واستولت غَلَابَةُ النهب والسلب
على أثقالهم وأسلابهم وتقسما بين هَزيم وأسير وجريح وقتيل وانتُصِف منهم وانتُصر عليهم
" ولمن انتصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ - فأولئك مَا عَلَائِهِمْ مِنْ سَبِيلٍ " وأسَرَ من معارفهم
المذكورة ووجوههم المشهورة فلان وفلان . وأما الذِكراتُ التي لا يدخل عليها التعريف
والأدنىاء التي لا يتطرق إليهم التشريف فجمعٌ يكثر عدده وبحرٌ يغزُر مدده ولم يَنجُ
منهم إلا من كان في عَنان فرسه تقديمٌ وفي كتاب أجله تأخير ولا سلم منهم الا من كان في
هربه تطويل وفي طلبه تقصير خصوصاً مقدمهم . فإنه سار سيرة الحارث بن هشام وطلب النجاة
لنفسه فنجا برأس طِمْرٍ رَّوَّةٍ وَلِجَامٍ . وصيَّره الناصر جندياً فقال : كنتُ كاتباً جيداً
فصرت جندياً رديئاً ومن مَغَايظ الدهر أني أفنيتُ عمري في الكتابة فصرتُ إلى الجندية
ولا أعرف منها شيئاً ونظم في ذلك :

أليس من المغايط أن مثلي ... يُقضي العُمُر في فنِّ الكتابه ° .
فيؤمر بعد ذلك باجتناِبٍ ... لها فيرى الخُطوب عن الخطابه .
ويُطَلَّب منه أن يبقى أميراً ... يسدُّد نحو من يلقي حِرابه .
وحقُّ ما أصابوا في حديثي ... ولا ليَ إن ركبْتُ لهم إصابه .
ولما كان ببغداد خُرَّج للشعراء من عندِ المستنصر ذهبُ على أيدي الحُجَّاب ولم يخرَّج
إليه شيء فكتب إلى المستنصر :

لما مدحتُ الإمامَ أرجو ... ما نال غيري من المواهب .
أجدتُ في مدحه ولكن ... عُدت بجدِّي العَثُور خائب° .
فقال لي ما مدحوه لما ... فازوا وما فُزْتُ بالرغائب .
لِم أنت فينا بغير عينٍ ... قلتُ لأنني بغير حاجب .
ومن شعره :

وعَلِقَ نفيسٍ تعلقتُهُ ... فزار على خلوةٍ وارتياح .
ولم يبق في المُرد إلا كما ... يقال على أكلةٍ والوداع .
فعاجلتُهُ عن دخول الكنيف ... بشحٍّ مُطاعٍ ورأيٍ مُضاع .

فغرّ قني منه نَوء البُطين ... ورواه مني نوء الذِّراع .

ومنه : .

على وَرْد خَدَّيْهِ وآسِ عِذارِهِ ... يليق بمن يهواه خَلَع عِذارِهِ .
وأبذلُّ جُهدي في مُداراةِ قَلْبِهِ ... ولولا الهوى يفتادُني لم أُدَارِهِ .
؟ أرى جنةً في خَدِهِ غير أنني أرى جُلَّ ناري شبَّ من جُلنارِهِ .
كغُصن النقا في لَينِهِ واعتداله ... ورثم الفلا في جَيدِهِ ونِيفارِهِ .
سكَّرت بكأسٍ من رحيق رُضابه ... ولم أدر أن الموت عُقبى خُمارِهِ .
وكتب إلى بعض الملوك : .

لو شرحتُ الذي وجدتُ من الوج ... د عليكم أملتُكم وملتُ .
فلهذا خفَّفتُ عنكم ولو شئت ... ت أن أُطيلَ أطلت .
غير أن العَبِيدَ تحمل عن قَل ... ب الموالى وهكذا قد فَعَلت .
وقال في مליح نحوي : .

بُلِيتُ بنحويٍّ يخالفُ رأيَهُ ... أوأنا فيجزييني على المدح بالمنع .
تعجبتُ من واوٍ تبدَّتْ بِمُدْغِهِ ... ولم يحظني منها بعطفٍ ولا جمع .
ومن ألفٍ في قدِّهِ قد أَمالها ... عن الوصل لكن لم يُملها عن القطع .
وقال : .

أيادٍ سمت آثارُها السحب فاعتدَّت ... تُعاب إذا ما شُبِّهت بالسحائب .
فما الوعدُ منه بالطويل ولا ترى ... مَدَاه على حاكِيهِ بالمتقارب .
منها : .

سُيُوفُ إذا صَلَّاتْ سجدنَ رؤوسُهُم ... لآثار خيلٍ شُبِّهت بالمحارب .
وقال أبو الحسين الجزار يمدح فخر القضاة ابن بصاقة : .
عفا عفا عما قد جنته يَدُ الدهر ... فقد بذل المجهود في طَلاب العُذر .
أحسُنْ أن أشكو الزمانَ الذي غَدَت ... صنائعُهُ عندي تجلُّ عن الشكر